# غرائب

## الاقوال والعادات في العطاس

### وتفسيره اللغوي

كان العرب يحسبون اختلاج العين فألاً بالتقاء الحبيب . قال شاعرهم

ظلّت تبشرني عيني اذا اختلجت  بان أراك وقد كنا على حذر

ومن الشائع في بعض البلدان الناطقة بالعربية قولهم عند ما تطنّ الاذن : « لا أدري من يذكرني» فاذا سمّت الاذن اليسرى عُدَّ ذلك فألاً او تبيناً بان الحبيب هو الذاكر

ولكن العطاس استرعى عناية الناس ، اكثر كثيراً مما استرعاه اختلاج العين وطنين الاذن . فكانوا في العصور القديمة يعيرونهُ شأناً لم يعيروهُ غيرهُ من حركات الجسم غير الاختيارية . فاذا عطس عاطسٌ حياه الواقفون معهُ بشكل من اشكال التحية ، او قد هو بعبارة معينة جرت مجرى الامثال . ولا تزال في هذا العصر ، وهذا القطر تحيي العاطس بكلمة ابطالية احياناً هي « سالوتي » اذا كان القوم من المتفرنجين . اما المسلم فيقول عند العطس استغفر الله ويقول لهُ من معهُ رحمك الله . ويقولون في الشام « نشو » اختصاراً للفظ النشوه والنشوة وربما معنى استمرار الحياة والنمو وهي كلمة من عبارة بعضها الكامل « نشو بنشيك وترب يخليك »

وجميع الشعوب في مختلف العصور أقوال وعبارات غريبة تتعلّق بالعطاس ، رأيت ان اذكر طائفة منها في هذا الفصل ، ثم اختمهُ بكلمة موجزة ، في حقيقة العطاس في نظر العلم نفسهِ . وليس ما يورده الا على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر

### اليونان والرومان

كان اليونان القدماء يحيّون العاطس بما ترجمتهُ « عش وليحفظك زفس » وزفس كان كبير الآلهة عندهم . وكانوا اذا عطس عريس في حضرتهم يحيونهُ بقولهم « تحفك الارواح الصالحة خيراً وبركة »

وجاء في أوذيسة هوميروس شاعرهم العظيم قوله « وبينما كانت الملكة تتكلم اذا بتلماكوس قد عطس عطساً عالياً بلغ صداه آخر الجمع فابتسمت وقالت خيراً ودعت قائلة ليسقط الاشرار ويأخذهم صيحة القضاء الذي لا يرحم » ومن أقوال الفيلسوف ارسطوطاليس ان العطاس من الظهر الى نصف الليل يمن ومن نصف الليل الى الظهر شؤم

وكما كان اليونان الاقدمون يراعونه في مسألة العطاس انهم يتيمنون بالعطاس الآتي من اليمين ويتشاءمون بالعطاس الآتي من اليسار وعندهم رواية في هذا الصدد لا بأس من ايرادها . حكي ان كيفيفون القائد المشهور كان يخطب في عشرة آلاف من رجاله حتى اذا قال « وهنالك أسباب كثيرة تحدونا على رجاء الحفظ والبقاء » عطس أحد الجنود من اليمين فقال الخطيب « أيها الجنود الرفاق ان المشتري ( وهو اسم آخر كبير الآلهة ) عند ذكر حفظكم وبقائكم أرسل الينا هذا الفأل الطيب لتيمن به »

أما الرومان فقد ذكر المؤرخ بليتوس وغيره أنهم كانوا يحيّون العاطس بقولهم Salve أي كن معافى . وقال فلوطرخس مؤرخ سير الاقدمين ان العطاس أمام معركة بحربة يشير بالنصر . وكان الامبراطور طريانس لا يخفل بشيء من آداب السلوك ولكنه كان شديد العناية بتحية العاطس اللازمة وبتحية الناس له عندما يعطس

## فارسي والهند

جاء في مصحف زرادشت ان الصلاة تستحب بعد العطاس . وانه يجب عند العطاس ترديد بعض الآيات المقدسة لان في الجسم شيطاناً . قالوا وفي الجسم ثار او ميل يسمونه غريزة العطاس . وهذه الغريزة تثير حرباً على الشيطان . وفعل العطاس دليل على انتصارها وطرد الشيطان من الجسم

أما اليهود فكان مذهبهم انه اذا عطس أحد دلّ ذلك على ان روحاً يدخل الانف او يخرج منه فيقول العاطس « يشع » فيجيبه المعطس بقوله « رحمتك » . ويقول السامع تباركت الله و « احمد لله » . وهذه العبارة الاخيرة كتبوها من المسلمين . فتسمع عندما يعطس يقول الحمد لله . و استغفر الله فيردّ عليه يرحمكم الله

وعند اليهود كذلك انه اذا بدأ أحد عمله ثم سمع عاطساً يعطس وجب عليه ان يبدأ عمله ثانية . فاذا عطس تالٍ وهو يصلي وجب ان يبدأ الصلاة من أولها . ولا اعتبرت صلاته الاولى » ومن هذا القبيل مثل انكليزي « ان العطاس في الصلاة شرك الشيطان »

## اليهودية والمسيحية

يقول الدكتور ونسن وينس الاميركي ، وعليه نعتمد في جلّ ما نورده ، أن في بعض تقاليد اليهود ، ان الناس قبل عهد يعقوب ، لم يكن أحدهم يعطس الاّ مرة واحدة ثم يموت . وجرى بعد ذلك تبديل ، فصار الناس يموتون بالامراض الطبيعية بدل العطاس . ولتذكر هذا التبدّل الطيب ، كان كل أمير منهم يأمر رعاياه بأن يقول قولة خير بعد العطاس . فاذا عطس عاطس قالوا لهُ « طويم حايم » اي ليعطك الله حياة . وكان العاطس يردد في اثناء الآية الواردة في سفر التكوين وهي « انتظرت خلاصك يا ربّ »

أما العاطس في عهود المسيحية الاولى فكان يرسم علامة الصليب على وجهه . ثم اوصى رجال الدين فيما بعد بأن لا يعيروا العطاس شأناً ما . وحسب بعضهم العطاس ضرباً من الشلل الزائل . وفي اوائل القرن السادس عشر اوصى اسقف مونبون الفرنسي رعيته بأن لا تبدأ بالعطاس . ولكنها لم تعمل بوصيته ولا سيما انهُ جاء في تقليد متأثل ان احد البابوات امر بأن يبارك العاطس لأن طاعوناً من الطواعين كان يتقدمهُ العطاس ويعقبهُ الموت

ولا يزال المسيحيون على اختلاف شعوبهم يحترمون العطاس ويباركون العاطس الى هذا اليوم . فالايطاليون يحيون العاطس بلفظة Felicita أو Salute والفرنسيون بلفظة Santé أي صحة جيدة . والانكليز Bless U (God Bless U) اي ليباركك الله

وللاغريق والانكليز اعتقادات في العطاس جديرٌ بنا ان نشير الى بعضها . فاذا عطس اغريقي وهو يلبس حذاءه عدّ ذلك شؤماً عليه . واذا عطس وهو يقصّ على أحد قصة عدّ ذلك علامة على صدق روايته . وفي اسكوتيا — وشعبها خليط من الالمان والصقالبة — اذا عطست امرأتان حاملان معاً كان ذلك علامة على انهما ستلدان بنتين . واذا عطس زوجها معاً كان ذلك علامة على انهما ستلدان ابنين . ويقال ان امبراطور النمسا السابق فرديناند الثاني عطس مرة فلم يقل الحاضرون شيئاً فسألهم لماذا عطس ولم يحيه احد بالتحية الاعتيادية فأجابوه في متن هذه الحكاية

وعند الانكليز اعتقادات شعبية خاصة بالعطاس جاء فيها « اذا عطست يوم الاثنين فذلك خير عليك . وان عطست يوم الثلاثاء فسيحل شر بك . ويوم الاربعاء فسيأتيك كتاب . ويوم الخميس فسيأتيك خير . ويوم الجمعة فسيلاقيك غمّ . ويوم السبت فسيرى حبيبك في الغد »

وليس في هذه الاعتقادات ذكر للعطاس يوم الاحد . كأنهُ من الملاهي المحرمة ، التي طالما

اشتد الجدل حولها في انكلترا ، ولا يزال فتحها ممنوعاً في ايام الآحاد . ولكن ضرورات هذه الحرب اقتضت منهم العمل يوم الاحد فأقبلوا عليه

ومن معتقدات الاوربيين انهُ اذا عطس احد ثم لم يعطس ثم عطس ثانية دلَّ ذلك على انهُ سيخسر شيئاً ثميناً . وانهُ اذا عطس عطسة اطارت زرّاً من قميصه او صدرته او غيرهم من ملابسه فان الغنى سيأتيه على عجل . ومن خرافاتهم انهُ اذا كان تاجران يتحدثان وعطسا معاً فان تجارتهما رابحة . ومن يعطس عطستين كلٌّ تلية مدة ثلاث ليال يبشره بالموت العاجل . ومن يعطس بين الحادية عشرة والثانية عشرة نهاراً فسينزل عليه ضيف . ومن يعطس عند نهوضه من سريره صباحاً فليعد اليه وليضطجع فيه ثلاث ساعات ، والاَّ ملكتهُ زوجتهُ اسبوعاً . ومن يعطس قبل طعام الصباح فستأتيه هدية . الاَّ اذا كان ذلك يوم أحد . ومن يعطس واللقمة في فمه فسيلتقي اليه صديق

## تكرر العطس

ولا يخفى ان العطاس قد يتردد أحياناً مرتين او ثلاثاً . ولمختلف الاقوام في ذلك آراء مختلفة واقوال شتى . فأهل انكلترا لا يزالون يتفاءلون خيراً بترديد العطاس ، ومن اقوالهم « عطستان او ثلاث صحة وعافية . وعطسة واحدة تدبر شؤماً » . ومن أمثالهم في القرن السابع عشر « عطس المريض ثلاثاً فأخرجوه من المستشفى » معتقدين ان العطاس ثلاث مرّات دليل على استعادة الصحة . ومن طبائعهم انهم يرون وكان يحسب العطاس اندراً حسناً ويصف للمرضى الذين دخلوا دور المزع دواء يعطسون به ورثةً في ذلك انهُ اذا « تنبهت حواسهم وعطسوا عادت اليهم الحياة » واذا لم يستطع المريض العطس كان مرضهُ قتّالاً

وقد علل الفيلسوف أرسطو الاحترام الذي يبديه الناس للعاطس بقوله ان الانسان الاول رأى ان الرأس هو مركز النفس الاعظم وانهُ عضو مقدس لا يحكم لحسن حركاته وعدم ملاءمتها وحركته فاحترم العطاس الصادر منهُ لانهُ أظهر علامات حية

## التفسير العلمي

ولا يخفى ان العطاس من الحركات التي لا سيطرة على الانسان عليها ، وهي ما تعرف بالافعال المنعكسة . كانطباق الجفن عند ما تفاجأ العين بحركة على مقربة منها . وكسيل اللعاب في الفم عند رؤية الطعام . وكانهمار الدمع من العين عندما تدخلها دقائق الغبار . وكانقباض الجسم بقشعريرة عندما يبرد . وكافراز عصارة الهضم في المعدة عند وصول الطعام اليها . فالرسائل

العصبية في هذه الاعضاء تنتقل من عضو الحس ، سواء كان العين او الجلد او المعدة او الفم ، الى النخاع الشوكي ، ثم تتصل بأعصاب الحركة فتسير الى عضلات الجفن فتطبقهُ ، او الى غدد اللعاب فتفرزه ، او بصيلات الشعر في الجلد فتنبضها فيقفُّ الشعر ، كل ذلك من دون ان تصل الى الدماغ اي الى مركز الوعي ، فتتم جميع هذه الاعمال بسرعة عظيمة ومن دون وعي ومن دون ان يكون لنا سيطرة عليها

ولكن الاقدمين لم يكن لهم من معارفهم ما يمكنهم من فهم كل هذا . فكانت هذه الافعال غير الاختيارية او غير الارادية تدهشهم وتحيرهم ، كانها من قبيل الظاهرات الطبيعية العجيبة ، فيسندونها الى الارواح او الى الآلهة . ولذلك تعددت فيها الاقوال واختلفت باختلاف الشعوب والاقاليم

* * *

ولما كان الانف والفم مدخلي النفس ومخرجيها ، لانهما مدخلا النفس ومخرجاه ، والنفس والتنفس عندهم شيء واحد ، كان الاقدمون يقولون ان نفس الانف هو حياة الانسان ، ولذلك جرت عادتهم على ان يطبقوا احياناً فم المحتضر وانفه منعاً لخروج روحه . ومن الاقوام البدائية من يغطي انفه وفاهُ في اثناء النوم لئلا تفرَّ روحهُ منهما وهو نائم

ولما كان العطاس متصلاً بالفم والانف هذه الصلة الوثيقة ، فقد نسب اليه الناس قديماً وحديثاً كل ما يعتريهم في افواههم وعاداتهم من مظاهر الخوف والرجاء والتيمن والتشاؤم

وسبق ارتقاء علم التشريح وعلم وظائف الاعضاء بين لنا ان في باطن الانف اطراف اعصاب دقيقة الحس ، فاذا حدث ما يثيرها ، كوقوع دقائق الغبار على غشاء الانف ، او حدوث التهاب او تضخم فيه كما يحدث عند بدء الزكام ، حركت هذه الاعصاب فعلاً عكسيًّا ينقبض به حجاب الحاجز وهو الحجاب الذي يفصل بين اعضاء الصدر واعضاء البطن . فاذا انقبض هذا الحجاب ضغط على الرئتين فتقرران هواءهما في مجاري الانف والحلق فجأة فيحدث العطاس والغرض طرد الدقائق التي تهيج الاعصاب

وقد يحدث العطاس بتهيج عصب البصر بوساطة نور باهر

* * *

إذن نسبي العلم ، على ما دار حول العطاس من أوهام وآراء ، يفهم بواعث العطاس ووظيفته . ولنكرر رجاءنا ان لا يقضي ذلك على هذه العادة الجميلة ، التي أخذناها عن الاسلام في عهده الاول : يقول العاطس « استغفر الله » فنقول له « يرحمكم الله »